والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى وسنه لهم على
لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه الا ان ذلك يسمى ملة باعتبار انه تعالى انزل فى حقه ما يمليه
العباد ويكتبوا به ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من املت الكتاب اى امليته ويسمى دينا باعتبار
طاعة العباد من اسنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اى ذل واطاع والناس مفطورون
على ملة الاسلام صورة انهم مخلوقون على قبول ما تطابقت الادلة العقلية والنقلية
على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الى ان يصرفهم عنه صارف
فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغراء اذ ليس قولنا فطركم الله فطرة
هى الاسلام وجه ظاهر والوجه الثالث ان يراد بالعهد الماخوذ عليهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا
بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله
تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان
الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المامور به المكتسب بالارادة والفعل الا
ترى انه يقول فابواه يهودانه جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه
قوله لا يقدر احد ان يغيره وعلى تقدير ان يراد بفطرة الله خلقتهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
فان خلقتهم على هذه القابلية امر متعلق به قضاء الله تعالى وارادته فمن يقدر على تغييره
قوله اوما ينبغى ان تغير على تقدير ان يراد بها الاسلام والاقرار الفطرى فيكون لا تبديل لخلق الله فى
معنى النهى قوله اذا رجع مرة بعد اخرى مبنى على ان اناب انفعل من التوبة قوله من الناب وهو السن فكان
القائل جعل همزة اناب للصيرورة بمعنى صار ذا ناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه تعالى
قوله ولا تكونوا من المشركين قيل انه متصل بما قبله والمعنى واقيموا الصلوة ولا تتركوها فتشوم
تركها يفضى الى الكفر قال محمد بن اسلم الطوسى بلغنى عن النبى عم انه قال من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر وقد كان بلغنى عنه عليه السلام انه قال اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى
فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردوه فطلبت صحة الحديث الاول فى القران ثلثين سنة
حتى وجدته فى هذه الاية كما فى التيسير قوله ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل والخبر من كل حزب
فرحين بما لديهم كائنين من الذين فرقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف اهوائهم
ولكنه دفع فرحون الى انه صفة كل وان كان الشايع فى مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلهم
العكس فى ان الوصف الذى يجىء بعدها ينبغى ان يكون للمضاف كما فى قولك جاءنى كل رجل كامل
ولا تقول كاملين ثم انه لما وبخ هذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضر اى شدة كالمرض
والقحط وبين انهم يتفقون عند اصابة الضر فى دعاء ربهم راجعين اليه من دعاء غير

غيره قوله واللام فيه للعاقبة اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدة
ثم انه تعالى اضرب عن توبيخهم على اشراكهم حال الرخاء وانابتهم اليه حال الشدة الى تقريعهم بوجه
اخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام فيه
منقطعة والهمزة التى فى ضمنها للانكار اى بل انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد باشراكهم
تعالى وصحته ويحتمل ان يكون ام متصلة ويقدر عديلها قبلها والتقدير اتشركون بمجرد
التشهى واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون فى الشرك فى اتخاذ
مع اضلالهم فى الشرع قوله او بالامر الذى على ان يكون ما فى قوله بما كانوا موصولة والكون
المراد بالسلطان ملك معه برهان لا نفس الحجة لا يتكلم بالامر الذى فيه يكون فان المراد
بالامر لسلامهم الذى اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة وياسهم عند الشدة
فقال واذا اذقنا الناس يعنى الكفرة نعمة فرحوا بها فرح البطر وترك الشكر وان تصبهم سيئة
اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سواء كسبوها بايديهم
وقيدها بايديهم اقامة للاكثر مقام الكل واتباعا للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصى يقع بالايدى
لم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر سبب اصابة السيئة اياهم لان الاول تفضل
من الله تعالى ورحمة محض لا تقتضيه شىء من اعمال العبد بخلاف الثانى فانه مقتضى العدل
فانه تعالى يجازى المعصية بما يماثلها من العقوبة فان قيل الفرح بالنعمة مامور به قال الله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا كيف ذمهم هنا على الفرح بالرحمة اجيب بان المامور به
الفرح برحمة الله تعالى من حيث انها مضافة الى الله تعالى والمذموم هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان
لهم المطر مثله من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى ولا شك ان حصر النظر
على نفس النعمة معصية بهيمية بخلاف الفرح الناشئ من تذكر المنعم اياه ومآل حظ المنعم نظر
اليه بعين الرافة ونظر الرضا فكم فرق بين الوصفين ثم انه تعالى ذمهم على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم
حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط الرزق اى كيف يفرحون ويقنطون حالتى السراء
والضراء ولا يعلمون ان ضيق المؤمن ليس لهوانه على الله ولا سعته لكرامته عليه لكنه تعالى يمتحن عباده
بما شاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السراء ويصبر على الضراء ويشتغل بالانقياد
اليه فى الحالين لا ان ينقطع عنه ويتمتع بالنعمة ولا ان ييأس من رحمته حال النقمة قوله
كصلة الرحم يعنى انه ليس المراد بحق ذى القربى ما كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة
بالبر كما فى قوله تعالى ما لنا فى بناتك من حق اى حاجة فان كانت عاداه او كان بك ذو قرابة فلم تصله بما له
ولم تحسن اليه بعد ذلك فقد قطعته وقيل المحتاج وكان فرايض المواريث لم تنزل بعد وهذا واضح ابو حنيفة

Copyright © King Saud University